

## الذاكرة الثقافية الجزائرية مدفونة في النكران

الطويلة "أه فلتنهض الأسود العربية للحرب، وبانيابها الناقمة فلتمزق كتائب الأعداء، وأنت يا صغير فلتكبر وليسعف القدر جهك، فلا يدنس الفرنسيون بعد الآن شواطئنا العربية".

ويجدر بنا أن نذكر أيضا مجموعة المفكرين الفرنسيين الذين أسسوا من عام 1948 إلى عام 1967 مجموعة تحمل اسم "اشتراكية أم وحشية" وضمت مفكرين كبارا أمثال هوبيرت داميش وغي ديور وفنست ديكومب وجرار جينيت وبيير غيوم وكلود ليفورت وجان لابلاش وأدغار موران وكريستوف كاستوربياديس وجان فرانسوا ليوطار، الذي أسندت إليه مهمة الإشراف على الملف الجزائري ومتابعة ودعم المقاومة الوطنية الجزائرية وتشهد كتاباته السياسية النقدية للاستعمار الفرنسي للجزائر وهي منشورة على صفحات مجلة هذه المجموعة المناصرة أيضا للمقاومة الوطنية الجزائرية.

في هذا الصدد ينبغي ذكر نضال مثقف فرنسي بارز انشقت عن مواقف والدها وهي لورانس باطاي (1930-1986) ابنة الممثلة الفرنسية المعروفة سيلفيا باطاي وجورج باطاي المفكر الفرنسي اليميني المعادي لاستقلال الجزائر. في هذا الشأن سجلت المفكرة والمحللة النفسية الفرنسية إليزابيث رودنسكو شهادة مهمة في كتابها الموسوم "جك لكان: تاريخ التحليل النفسي في فرنسا، 1925 - 1985"، وأكدت فيه أن لورانس باطاي، الكاتبة والمحللة النفسية الفرنسية، قد عملت مع خلايا النضال الجزائري السرية في فرنسا وكانت مهمتها نقل الأسلحة سرا، عن طريق مارسيليا إلى المجاهدين في الجزائر وحين قبضت عليها المخابرات الفرنسية أودعتها السجن.



### الجزائر أنكرت دور المثقفين الفرنسيين الذين ناصروا تحررها وبقيت معزولة وعازلة وتعيش مولوجا ثقافيا

وفي دراسته حول دور المثقفين الفرنسيين أوضح الدارس جيمس د. لسور في مقاله المنشور على صفحات مجلة شمال أفريقيا للدراسات أن حركة التحرر الوطني الجزائري قد لعبت دورا مفصليا في نزع الاستعمار عن "النزعة الكونية الفرنسية"، هذا وبدعم الفيلسوف الفرنسي ميرلو - بونتي ضرورة نزع الغطاء عن العنف الفرنسي في الجزائر وذلك في مستهل كتابه "الإنسية والإرهاب: المشكلة الشيوعية" الصادر في عام 1947 حيث أبرز أن "الليبرالية الغربية ترتكز على العمل القسري في المستعمرات والحروب العشرية حيث أنه من وجهة النظر الأخلاقية فإن موت الزنجي بالإعدام ودون محاكمة في لويزيانا، أو المواطن الأهل في إندونيسيا، وفي الجزائر، أو في الهندو - صينية لا يغتفر أقل من موت روباشوف". وفي كتابه الشهير "تقد العقل الجذلي" يقف جان بول سارتر ضد العنف الاستعماري الفرنسي في الجزائر "بطبيعة الحال، فإن هذا العنف، القسوة تجاه القبائل الجزائرية والعلبات المنهجية التي استهدفت انتزاع أراضيها هي بنفسها ليست أقل من تعبير العنصرية التجريدية الساكنة".



حتى رامبو لم ينل حظّه في الجزائر



أزراح عمر  
كاتب جزائري

كل عام يمر تفقد فيه الجزائر جزءا مهما من مخزون ذاكرتها الثقافية الأمر الذي صار يهدد فعلا تاريخها الروحي بالتلاشي، ويسبب في هذه الكارثة المسؤولون الجزائريون الذين ينصبون على رأس القطاع الثقافي دون استحقاق، خاصة وأن معظمهم قد فشلوا في تفعيل الدور الحيوي للثقافة في بناء أركان التقدم وفي إدراك أن "الثقافة هي ما نتكون به والحضارة هي ما نعمل به" كما يقول المفكر المصري سلامة موسى. وجراء ما ذكر وجدنا الجزائر معزولة وعازلة وتعيش منذ الاستقلال إلى يومنا هذا مولوجا ثقافيا متخلفا مما جعلها غير قادرة على صنع مكانة مرموقة لنفسها على الصعيد المغربي والعربي والمشرقي والأوروبي وهلم جرا.

في هذا السياق أريد أن أعالج قضية تتعرض للتهميش باستمرار وتتعلق بجهد المسؤولين الجزائريين بالمثقفين الفرنسيين الكبار الذين وقفوا إلى جانب حركة التحرر الوطني ضد الاستعمار الفرنسي حيث دفع بعضهم ثمنا غاليا جراء ذلك. إنه لحد الآن لم تنشئ وزارة الثقافة الجزائرية والمؤسسات المكلفة بالإشراف على كتابة تاريخ حركة التحرر الوطني أي مركز وطني تسند إليه مهمة جمع وحفظ ودراسة أرشيف كل ما كتب عن الجزائر في العالم وذلك في إطار تدوين مكونات ذاكرة التاريخ الثقافي الجزائري عبر مختلف المراحل التاريخية التي عرفتها البلاد بما في ذلك مرحلة مقاومة الاستعمار الفرنسي التي دامت قرنا وفلائين سنة.

مع الأسف هناك تعميم مفرط ومقصود في الجزائر على الإنتاج الثقافي والفكري والفني الفرنسي الذي كان يدافع عن حرية الشعب الجزائري، ويدين الممارسات الاستعمارية والدليل على ذلك هو هذا التجاهل الكامل لكتابات المثقفين والمفكرين والشعراء الكبار أمثال آرثر رامبو وجان بول سارتر وسيمون دو بوفوار وجان فرانسوا ليوطار وكريستوف كاستوربياديس ولوي التوسير وميشال فوكو ولورانس باطاي وروجيه غارودي ومجموعة 121 المعروفين في التاريخ الفرنسي المعاصر بالمثقفين المعارضين لاحتلال فرنسا للجزائر وغيرهم كثير.

إن كتابات هؤلاء وغيرهم منبوذة جزائريا ومبعدة عن الحضور الفعلي في المشهد الثقافي والتعليمي الجزائري، حيث أنها لم تترجم وتوفق وتوزع وتدرج في الكتب المقررة في مختلف مراحل ومستويات المنظومة التعليمية، فضلا عن ذلك فإن هذه المؤلفات الغنية والكثيرة لم تحوّل إلى مصادر تستقي منها المسلسلات التلفزيونية وأفلام السينما الجزائرية، والأدهى والأمر فإن أسماء أصحابها لم تطلق على الساحات والمؤسسات والشوارع عبر البلاد تقديرا لمواقفهم مع حركة التحرر الوطني الجزائري وتحويلا لهم إلى جزء من الإرث الرمزي لتاريخ المقاومة الفكرية والأدبية والفنية للاستعمار الفرنسي في الجزائر.

في هذا السياق ينبغي ذكر بعض الشواهد القليلة جدا على سبيل المثال وليس الحصر، ونبدأ بالشاعر الأسطوري آرثر رامبو الذي لم تكرم الجزائر يوما ذكره وموقفه علما أنه كتب في 2 يوليو 1869، وعمره لا يتجاوز 13 سنة قصيدته الشهيرة "يوغورطا" التي دعا فيها الجزائريين إلى قهر المحتلين الفرنسيين، وقال رامبو في هذه القصيدة

## الثقافة تحتاج إلى تعاون أكبر بين الكتاب والمبرمجين

ريهام حسني: احتضان التكنولوجيا والرقمنة من سبل تنمية لغة الضاد



### الأدب الإلكتروني صوت الحاضر والمستقبل

أما الاستخدام الثاني للتكنولوجيا الرقمية، كوسيط فهو يساعد على جعلها جزءا لا يتجزأ من النشاط الإنساني، بحيث تعيد صياغة هذا النشاط وفقا لبلغة مغايرة وجماليات جديدة، وهو ما يطلق عليه حالة "ما بعد الإنسانية" التي نجحها الآن.

وبدلا من أن تقوم برمقنة الأدب لجعله متاحا على الشبكة العنكبوتية، تقوم بإنتاج أدب جديد، بمواصفات جديدة، وبشروط إنتاج وتوصيل وتلق مختلفة، وهو ما يطلق عليه الأدب الإلكتروني الذي يعتمد على نشر العمل الأدبي، يساعد على نقل المثقفي إلى داخل العمل.

في هذه الحالة، مثلما تصف ريهام حسني "تقوم ببناء العمل الأدبي بدلا من كتابته، ويته بدلا من نشره، وتشغيله واللعب معه بدلا من قراءته، وفي هذا كله تشكل التكنولوجيا الرقمية شريكا أساسيا في العملية الإبداعية، فالأدب الإلكتروني كصوت الحاضر والمستقبل يعتمد على جعل الكون كتابا مفتوحا، ويتم في فضاءاته المختلفة عمليات الإنتاج والتوصيل والتلقي بمساعدة التكنولوجيا الرقمية".

وإذا نظرنا إلى اللغة العربية، وعلاقتها بالتكنولوجيا الرقمية، في ما يخص نشاطي رقمية النصوص وإنتاج الأدب الإلكتروني، نجد أنه مازال أمامنا الكثير والكثير للنجزة. وتوضح حسني "شهد العقد الأخير اتجاه بعض المكتبات والهيئات في دول عربية مختلفة، لرقمنة الكتب الورقية في مختلف العوالم، وتحويلها إلى صيغ رقمية، بهدف إتاحتها للجميع على شبكة الإنترنت، ويضمن هذا النشاط أيضا أرشفة هذه النصوص، وتوفير البيانات اللازمة عنها، والترويج لمحتوياتها، ما يحقق شراء معرفيا، وحفظا لهذه النصوص من الضياع، بالإضافة إلى فتح آفاق جديدة في البحث العلمي، وصناعة البرامج الرقمية اللازمة لهذا النشاط، وتقديم الاستشارات الفنية للمشايخ المشابهة في أماكن أخرى".

وتتمن ريهام حسني هذه الجهود، وتقول "العرب" مختتمة حديثها "هي خطوة أولى، على طريق طويل لم نكتشف أبعاده بعد، فحتى الآن لم نوظف التقنيات الرقمية المتطورة مثل تقنيات الواقع الافتراضي، والواقع المعزز، في إعادة عرض كتب التراث في المكتبات بشكل يعيد اكتشاف هذا التراث لمحاورته، وتقديم رؤى جديدة له، ولم نستخدم مثل هذه التقنيات في المتاحف الأثرية، ولم نستفد منها في جذب أنظار العالم لما لدى العرب من حضارة عريقة وتراث ثري، ولذلك فإن الخطوات المقبلة أمامنا لا تزال كثيرة وشاقة، لكنها خطوات محفوفة بالأمل".

والإنجليزية بعنوان "الأدب الإلكتروني العربي.. آفاق جديدة ورؤى عالمية"، شارك فيه رواد المجال من مختلف أنحاء العالم، لتقديم الرؤى، وخلق مناخ أكاديمي للتعاون بين الكتاب العرب وقرنائهم في الغرب.

أقيم المؤتمر في فبراير 2018، في جامعة روتشستر للتكنولوجيا بالإمارات، وشاركت في التنظيم جامعة روتشستر للتكنولوجيا في نيويورك ومنظمة الأدب الإلكتروني العالمية، ونشرت الأوراق البحثية للمؤتمر في مجلة EBR المحكمة دوليا لتعريف الغرب بالأدب الإلكتروني العربي، ونشرت بالعربية في مجلة "روابط رقمية"، لإضلاع الباحثين العرب على آخر ما توصل إليه المجال.

وتقول ريهام حسني "نطمح إلى أن تتبنى مؤسسة عربية المشروع، لتفتح له آفاقا جديدة، فمأزنا نحتاج إلى تحقيق تعاون أكبر بين المبرمجين والكتاب العرب، هناك حاجة ملحة لتبني مشروع طموح لأرشفة الأدب الإلكتروني العربي، حتى لا يأتي اليوم الذي نفقد فيه إرثنا الأدبي الرقمي، ولا بد من ترجمة هذه الأعمال إلى لغات مختلفة". تبرز الحاجة كذلك إلى تخصيص الجوائز التي تحفز التعاون المثمر بين قطبي الأدب الإلكتروني، وهما: الكاتب والمبرمج، كما أن هناك حاجة ملحة لإقامة ورش العمل التي تعلم الكتاب النيات وأدوات الكتابة الأدبية الرقمية، ويتطلب الانفتاح على الآخر والاستفادة من تجاربه جهدا مؤسسياً تعاونيا بين بلدان عربية عديدة، كي تتخطى العربية عثراتها وتخطط في ركب المستقبل.

### بناء جديد

تفرق ريهام حسني بين استخدام التكنولوجيا الرقمية كأداة لنقل المعارف وتسهيل الأنشطة الحياتية اليومية، واستخدامها كوسيط لإمجاننا في العصر الرقمي وجعلنا جزءا منه. وفي حديثها إلى "العرب" تقول "يتركز إدراكنا في العالم العربي للتكنولوجيا الرقمية على الاستخدام الأول لها، كأداة، ومثال ذلك، أن تقوم برقمنة التراث الأدبي العربي لجعله متاحا على شبكة الإنترنت، فبدلا من قراءة التراث في كتب ورقية، يمكننا أن نقرأه في صيغة ملفات بي.دي.إف، ويشمل هذا الاستخدام أيضا تطوير برامج سوفت وير للمساعدة في عملية الترجمة الرقمية بين اللغات المختلفة، أو للمساعدة في تحليل نصوص عديدة حول موضوع معين للخروج ببيانات وإحصاءات حول هذا الموضوع تساعدنا في رسم سيناريوهات للموضوع قيد الدراسة، ويتركز علم الإنسانية الرقمية حول ذلك".

تواجه اللغة العربية أزمات كبرى وتحديات كثيرة أدت إلى تراجعها كلفة للتداول الحي، ونقل العلم والمعرفة والأدب، وضعفها كمحتوى رقمي على الإنترنت. "العرب" التقت الباحثة المصرية ريهام حسني، المحاضرة بجامعة ليدن في بريطانيا، والمستشارة الدولية لمنظمة الأدب الإلكتروني العالمية، ومديرة مشروع الأدب الإلكتروني العربي بالإنجليزية، في حوار حول أبرز قضايا لغة الضاد الراهنة وأبجديات مواجهتها وتجاوزها.

شريف الشافعي  
كاتب مصري

سجلا رقميا لمعظم كتاب ونقاد الأدب الإلكتروني على قاعدة البيانات العالمية "الميسيب" (ELMCIP) المتخصصة في الأدب الإلكتروني على مستوى العالم.

### ركب المستقبل

لا يزال الأدب الإلكتروني في العالم العربي يواجه تحديات مضيئة بسبب ندرة الجهود المؤسسية المبذولة في هذا المجال، فضلا عن المفهوم المغلوط لماهية هذا النوع من الأدب، الذي يخلط الكثيرون بينه وبين النصوص الرقمية، أو النصوص التي تتناول موضوعات التكنولوجيا دون توظيفها، أو النصوص التي تتخذ من المواقع سيلا لنشرها. تشير ريهام حسني لـ"العرب"، إلى أن الأدب الإلكتروني مختلف عن هذا كله، حيث يعتمد على مبدأ التفاعل الفيزيائي بين عناصر العملية الإبداعية بإبعاد زمانية ومكانية جديدة، تنبثق من طبيعة التكنولوجيا الرقمية المستخدمة، ولا يمكن طباعته دون أن يفقد الكثير من خصائصه.

وتضيف "عندما بدأت الاشتغال على رسالة الدكتوراه منذ خمس سنوات، وسافرت لإتمامها في مجال الأدب الإلكتروني والنقد الرقمي بجامعة روتشستر للتكنولوجيا بأمريكا، أدركت حينها أبعاد المشكلة التي تواجه الأدب الإلكتروني العربي".

في ذلك الوقت، لم يكن لدى الغرب فكرة بوجود أدب إلكتروني عربي، رغم أنه قد ظهر في العالم العربي في مطلع القرن الحالي. وواجهت الباحثة صعوبات في الحصول على بعض نصوص الأدب الإلكتروني التي فقدت بسبب حدوث مشكلات تقنية في المواقع المحملة عليها، أو أن "السوفت وير" المصنوعة منه لم يعد متاحا.

هذه الأسباب كانت كافية لتتعاون ريهام حسني مع مشرفها البروفيسور ساندري بالدوين لإطلاق "مبادرة الأدب الإلكتروني العربي بالإنجليزية"، وتهدف إلى خلق جسور تعاون وتعارف بين كتاب الأدب الإلكتروني في السباقيين العربي والعالمي، والخروج به من أزمتته الراهنة. وبدأت المبادرة بشكل تطوعي، حيث يجري الاعتماد على الجهود الذاتية لاستقطاب الجهات المختلفة لدعم أنشطة المبادرة. تضمنت هذه الأنشطة إقامة أول مؤتمر دولي باللغتين العربية

يحتاج النهوض باللغة العربية إلى جهود من طراز خاص، تاخذ في اعتبارها طبيعة العصر الذي نعيشه، فلا سبيل إلى إنعاش اللغة وتطويرها وتطويرها ومد نطاق استعمالها محليا وعربيا وعالميا دون إنتاج جواد حقيقي للأدب الإلكتروني العربي، وزيادة المحتوى العربي الرقمي الذي لا يتخطى ثلاثة بالمئة على الإنترنت وتعميق مجالاته وموضوعاته وتوسيعها، وتأمين تواصل خلاق من بين اللغة العربية والبرمجيات الحديثة وإمكانيات الذكاء الاصطناعي، إلى آخر هذه النقالات التي تاخذ في اعتبارها التكنولوجيا كتشريك أساسي في الإبداع وفي التعاطي اللغوي في أن.

وفي هذه المجالات كلها، أسهمت الباحثة ريهام حسني بمبادرات ملموسة، وجاءت الانطلاقة في جامعة روتشستر للتكنولوجيا بأمريكا، حيث تعاونت ريهام مع مشرفها البروفيسور ساندري بالدوين لإطلاق مشروع الأدب الإلكتروني العربي من أجل التعامل الواقعي مع المشكلات التي تواجه اللغة العربية.

### الأدب الإلكتروني في العالم العربي لا يزال يواجه تحديات مضيئة بسبب ندرة الجهود المؤسسية المبذولة في هذا المجال

بعد سلسلة من الأنشطة اختبرت ريهام حسني منذ أيام قليلة مستشارة دولية لمنظمة الأدب الإلكتروني العالمية، من منطلق حرص المنظمة على ضمان تمثيل الأدب العربي في المجموعة الاربعة لأعمال الأدب الإلكتروني التي تصدرها المنظمة قريبا. أسهمت حسني في تقديم أول ورشة عمل في الوطن العربي لتعليم الأدوات الرقمية لكتابة الأدب الإلكتروني، بالتعاون مع باحثين عالميين من بريطانيا والولايات المتحدة، وإقامة أول معرض في الوطن العربي لأعمال الأدب الإلكتروني العربي، وإنشاء أكثر من 50